

حُمَارُ الشِّعْرَاءِ

جَشَمْتَنِي النَّظَمُ عَلَى بَحْرِ عَرَا
مِنَ الْقَوَافِي نَبْذُوهُ بِالْعَرَا

أَوْ هَكَذَا يَبْدُو لِعِينِي نَاظِرٌ
لِقَلَّةِ الْحَفْلِ بِهِ فِيمَا يُرِي

إِذْ هَجَنُوهُ فَامْتَطَاهُ كُلُّ مِنْ
رَامٍ وَسَمُونٍ حِمَارُ الشِّعْرَا

أَلَا تَرَاهُ فِي الْبُحُورِ خَامِلاً
مُمْتَهِنًا بَيْنَ الْقَصِيدِ مُرْدَرِي

مُقْتَرَنًا فِي الدِّهْنِ بِابْنِ عَاشِرٍ
وَبِابْنِ مَالِكٍ وَقَارِئِ قَرَا

وَمَعْرِبٌ لَقَامَ زَيْدٌ وَأَتَى
عُمْرُهُ وَهُمْ عَامِرٌ بِعُمْرًا

وَحِيشَمًا فَتَحَتَ دِيوَانًا فَلَا
تَبَصِّرُ لِلرَّجْزِ فِيهِ أَثْرًا

قَدْ أَنْهَلُوهُ مِنْ قَدِيمٍ يَلِنْهُمْ
فَلِيسَ فِي شِعْرِ الْفُحْولِ يُقْتَرِى

قَبْلِي تَخَطَّاهُ الْكَبَارُ فَعَنُوا
بِغَيْرِهِ وَكَادَ أَنْ لَا يُذْكَرَا

إِلَّا أَبْيَاتًا هُنَا أَوْ هَهْنَا
مِمَّا يَنْدِ تَارَةً أَنْ يَخْطُرَا

وَفِي الْمُعْلَقَاتِ لَا ذِكْرَ لَهُ
وَلَا اِنْتِهَا عَرْوَةُ وَالشَّنْفَرِي

وَلَا جَرِيرُ وَالْفَرَزْدَقُ وَلَا إِلْ
أَخْطَلُ وَالرَّاعِي التَّمِيرِيُّ اسْتَرَى

وَالغَزَلُ الْعَذْرِيُّ لَمْ يَلْمِمْ يَه
فِي وَصْفِ عَبْلَةَ بِشَعْرٍ عَنْتَراً

وَلَا يَهُ عَرْوَةُ فِي أَقْرَائِهِ
فِي حُبِّ عَفَرَاءِ الْمَحِيَا عَفَرَا

وَلَا الْكُمِيتُ وَجَمِيلُ وَكَثِيرٌ
يَهُ وَمَنْ شَعَرَ فِي أَمِ الْقَرَى

وَفِي الْكَلَاسَةِ وَسُوقِ مِرْبَدِ
وَكُلِّ مِصْرٍ قَدْ بَدَا أَوْ حَضَرَا

وَلَوْ تَقْرِيتَ الْجَازَ وَالشَّا
مَ وَالْعِرَاقَيْنِ وَمَا تَمْسَرَا

وَطْفَتَ فِي مِصْرَ وَفِي أَنْدَلُسٍ
وَالقِيرَوانِ مَعْشَرًا فَعَشَرًا

فَلَنْ تَرَى لِلخُلَفاءِ مَادِحًا
وَلَا الْوَلَاةَ كُلَّهُمْ وَالْوَزَرَا

مِنْ أَمْهُمْ بِرْجَزٌ فَنَالَ مِنْ
عَطَائِهِمْ كَمَا يَنَالُ الشَّعَرَا

فَلَا أَبُو تَمَامٍ أَوْ قَرِيعَهُ
أَبُو عُبَادَهُ لَهُ قَدْ نَشَرَا

وَلَا أَبُو الطَّيِّبِ فِي مَعْجَزِهِ
قَدْمٌ فِي الْقَوْلِ يَهُ أَوْ أَخْرَا

وَمَدْحَ الْمُلُوكُ أَدْهَارًا فَمَا
مِنْ أَحَدٍ عَلَى قَرِيبِهِ جَرَى

فَهَلْ أَنَا فِيمَا زَعَمْتُ صَادِقٌ
يَا شَيْخُ يَحْيَى أَوْ أَقْمَتُ الْعَذْرَا؟

لَوْ شِئْتَ قُلْتَ مَا تَرَكْتَ ذِكْرَهُ
مِثْلُ الصَّبَاحِ ظَاهِرٌ لِمَنْ يَرَى

فَأَيْنَ مِنْكَ لَوْ تَقْصِيهِ الْمَدِي
شِعْرُ الْمَلَاحِمِ إِذَا الْقِرْنُ انبَرَى

لِقَرْنِهِ وَاسْتَلَّ مِنْ قَرَابِهِ
حَسَامُهُ وَفِي الْخُطَا تَبْخَرَا

وَقَالَ فِي اِرْتِجَارِهِ مِنْ مِثْلِ مَا
قَالَ أَبُو السَّبِطَيْنِ يَوْمَ خَيْرَا

"لَمَّا دَعَا إِلَى الْمَصَاعِبِ قَرْنَهُ:
أَنَا الَّذِي سَعْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَا"

وَقَالَ: "لَمَّا أَنْ رَأَيْتُ مُنْكَرًا
أَبْحَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرَا"

وَابْنُ رَوَاحَةَ بِيَوْمِ خَنْدَقٍ
وَغَيْرِهِ كَمْ فِيهِ عَنْهُ أَثْرًا

وَمِنْ تَأْمِلَ فُصُولَ سِيرَةَ
لِابْنِ هِشَامٍ سَيِّرَاهُ أَوْفَرَا

وَفِي الْفَتوْحِ لَمْ يَزَلْ يَنْشِدُهُ
كَمْ بَطَلٌ بَيْنَ الصُّفُوفِ افْتَخَرَا

وَكَانَ بَيْنَ الْعُرْبِ فَنَّا رَاقِيَاً
مُسْتَطْرِفًا عَلَى الْقَرِيبِ مُسْتَرِي

يَوْمَ اسْتَجَادُوهُ وَأَعْلَوْا شَاؤُوهُ
فَقَيْلَ "كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا"

وَعَادَ شِعْرُ الْطَّرِدِ مِنْ أَشْرَفِ مَا
تَنَافَسَتْ فِيهِ الْبَوَادِي وَالْقَرَى

وَبَاتَ عَنْدَ أَهْلِهِ مُنْتَخِبًا
لِوَصْفِ صَيْدٍ وَقَنِيصٍ يَدْرِي

يَنْتَابُ أَسْرَابَ الْمَهَا فِي بِيْدِهَا
وَيَنْتَحِي الْغِزْلَانَ فِي وَادِي الْقَرَى

وَكَانَتِ الْمُلُوكُ إِنْ تَاقَتْ لَهُ
دَعَتْ لَهُ مُفْضَلاً وَالْأَحْمَراً

وَالْأَصْمَعِي وَأَبَا عَمْرُو وَمَنْ
يُدْعَى أَبَا عَبِيدَةَ مُعْمَراً

وَمَنْ رَوَى الْأَرْجَازَ عَنْ أَعْرَابِهَا
وَخَالَطُوهُمْ فِي السِّفَارِ وَالسُّرَى

وَكَانَ فِي الْبَدْوِ لَهُ فَطَاحِلُ
قَدْ نَافَسُوا فِيهِ وَطَاوَلُوا الْذَّرِي

وَالْأَغْلُبُ الْعَجْلِيُّ فِي أَرْجَازِهِ
قَدْ جَاءَ فِي الْوَصْفِ بِمَا بَذَ الْوَرَى

سَأَلَهُ عُمَرٌ أَنْ يَنْشِدَهُ
فَقَالَ: قَدْ سَأَلْتَ خَيْرًا مُحْضَرًا

وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَخْبُرَهُ
فَوَافَقَ الْخَبْرُ لِدَيْهِ الْخَبْرَا

وَكَانَ قَدْ سَنَ الْأَرَاجِيزَ الطِّوَّا
لَ كَالْقَصَائِدِ بِهِنَّ اشْتَهَرَا

وَالرَّاجِزُ الْعَجَاجُ فِي آثَارِهِ
قَدْ جَاءَ فِي الْأَرْجَازِ يَقْفُو الْأَثَرَا

فَكَانَ يَقْفُو أَثْرَ الْعِجْلِيِّ فِي
مَيْدَانِهِ وَفِي عِنَانِهِ جَرِي

وَجَاءَ مِنْهُ بِالَّتِي مَطْلُعُهَا
قَدْ جَرَّ الدِّينَ إِلَّاهٌ" جَرَّا

وَرُؤْبَةٌ فِي "قَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَـ
وِي" قَدْ تَلَّا ذَاكَ السَّبِيلَ وَاقْتَرَى

فَغَاصَ فِي الْلَّغْـيِ عَلَى مُعْتَاصِهَا
فَبَاعَ مِنْهَا فِي الْغَرِيبِ وَاشْتَرَى

وَلَأَيِ النَّجْـمِ أَخِي بَعْلِيهِ
مَا لَيْسَ يَشَـأُ شَـأْوَهُ مِنْ شَـعَـراً

وَكَانَ فِي عَهْـدِ بَنِي أَمْيَـةِ
مُقْدَـمًا فِي ذَاكَ بَيْنَ الشَّـعَـراً

قَدْ جَاءَ ثَالِثُ الْتَّلَاثَةِ الْأَلْأَى
قَدْ ذَلَّوْهُ مُورِدًا وَصَدَرَا

وَكَمْ وَكَمْ مِنْ رَاجِزٍ فَلْ وَكَمْ
مِنْ حَادِي أَيْنِقٍ بِهِ الْبِيدُ فَرَى

مِنْ رَوَى الْأَرْجَازَ عَنْ رَوَاْتِهَا
أَهْلُ الْعِمَادِ وَتَبَدَّى فِي الْبَرِّي

وَسَمِعَ الْعَرَبَ فِي أَمْثَالِهَا:
"عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمِدُ الْقَوْمُ السَّرِّي"

وَقَوْلُهُمْ: "شَكَ إِلَيْيَ جَمِيلٌ
طُولَ السَّرِّي" إِذْ طَالَمَا بِهِ سَرِّي

وَقَوْلَ مَنْ قَالَ لِبِدْ كِبِرَهُ:
"أَطْرِقْ كَرَى، إِنَّ النَّعَامَ فِي الْقُرَى"

وَلَمْ يَزِلْ وَالشُّعَرَاءُ تَنْتَخِي
بِالْحِدْقِ فِيهِ فَتَشِيرُ الْعِثِيرَا

فَلَمْ تَكُنْ بَغْدَادُ خَلْوًا مِنْهُ فِي
أَيَّامِهَا حِينَ الْقَصِيدُ ازْدَهَرَا

فَلَلْعَتَاهِي بِهِ بَدَائِعُ
فِي الزَّهْدِ حَلَقَ بِهَا وَاسْتَأْثَرَا

وَلِلنَّوَاسِي رَوَائِعُ بِهَا
فِي الْقَنْصِ وَالْطِرَادِ قَدْ تَصَدَّرَا

وَلَابْنِ مُعْتَزٍ وَحَازِدَ حَذْوَهُ
مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ وَسَرْ مِنْ يَرِى

وَابْنِ دَرِيدٍ صَاغَ مَقْصُورَتَهُ
فَفَاقَ فِيهَا مِنْ بَدَأَ أَوْ حَضَرَأَ

"يَا ظَبِيَّةً أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمُهَا"
أَعْجَزَ فِيهَا فِي الْقَرِيبِ مِنْ دَرَى

وَلَمْ يَكُنْ الرَّجُزُ فِي يَوْمٍ لَّقَى
مُسْتَرْذَلًا أَوْ كَانَ نَسِيًّا فِي الثَّرَى

بَلْ زَاحِمَ الْقَصِيدَ حَتَّى جَازَهُ
مَكَانَةً وَصَارَ مِنْهُ أَسِيرًا

وَكَانَ فِي الْمَغْرِبِ أَوْ أَنْدَلُسٍ
مِنْهُ الْبَدِيعُ أَزْمَنًا وَأَعْصَرًا

وَحَازِمُ الْقَرَاطَاجِنِيُّ بِتُونِسٍ
قَدْ حَاكَ مَقْصُورَتَهُ مَا قَصَرَأ

لَكِنَّهُ قَدْ عَدَ غَيْرَ حَازِمٍ
لَمَّا بِهَا قَدْ قَصَدَ الْمُسْتَنْصِرًا

فَعَابَهُ بِذَا الْمَكُودِيِّ وَلَمْ
يَعِبْ قَرِيبَهُ الَّذِي قَدْ بَهَرا

أَمَا الْمَكُودِيِّ بِجَادَ صَنْعَةَ
وَزَادَ إِذْ مَدْوَحَهُ خَيْرُ الْوَرَى

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا لَيْلَ دَجَّا
وَجَاءَ صَبَحُ بَعْدِهِ فَنُورًا

وَلِلشَّمَقْمَقِ ابْنِ وَنَانَ بِهِ
قَافِيَةً لِقَافِهَا قَدْ كَسَرَأ

مُخَاطِبًا حَادِيهَ: "مَهْلَلًا عَلَى
رِسْلِكَ حَادِي" أَيْنِي تَهُورًا

وَلِلرَّبَاطِيِّ أَبِي عَمْرُو لَهَا
أَخْتَ تَقْفَى قَافَهَا وَاقْتَفَرَا

فَجَاءَ بِالسَّهْلِ الَّذِي يَأْبَى عَلَى
مَنْ رَأَمَهُ وَلَوْ تَعْنَى وَاجْتَرَأ

فَهَذِهِ قَلَائِدُ الْأَرْجَازِ قَدْ
فَاقَتْ قَلَائِدُ الْحِسَانِ وَالْبُرِّي

فَإِنْ مِنْهَا مَا تَرَانِي نَاظِمًا
وَهَلْ تَسْوِي بِالْجَمَانِ الْحَجَرًا

مَاذَا يَقُولُ شَاعِرٌ إِنْ شَعَرَ
رَأَيْتَ فِي بُحُورِهِ مَا لَا يَرَى

أَنْشَدَتْهُ مِنْ نَظْمِهِ مَا لَمْ يَعْد
يَذْكُرُهُ وَوَدَ لَوْ تَذَكَّرَا

مَضَيَّتْ فِيهِ حَافِظًا لَهُ كَمَا
لَوْ كَانَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ سُورًا

مَا بَيْنَ بَحْرِ كَامِلٍ وَوَافِرٍ
وَرَمَلٍ وَمِنْ بُحُورِ أَخْرَى

وَحِينَمَا افْتَقَدْتَ فِيهِ رَجَّا
لَمْ تَرِهِ مِنْ بَيْنِهَا مُعْتَبِراً

سَأَلْتُنِيهِ وَعَدَدْتَ مِنْ جَفَّا
عَنْهُ كَمْ أَزْرَى بِهِ وَاسْتَحْقَرَأَ

وَخَلْتَ أَنِّي قَدْ هَضَمْتُ حَقَّهُ
هَجْرًا وَمَا مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُهْجَرَا

فَقُلْتُ: لَا عَتَبَ عَلَيَّ إِنِّي
قَدْ سُقْتُ عُذْرِي ظَاهِرًا مُفْسَرًا

لَمَّا رَأَيْتُ الشُّعَرَاءَ نَظَمُوا
فِيهِ السِّخَابَ وَالْحَصَى وَالْبَعْرَا

هُجْرَتَهُ هُجْرَانَ قَالَ أَوْ فَقِيلَ
هُجْرَانَ زَاهِدٌ بِهِ مُسْتَصْغِرٌ

وَالآنَ قَدْ صَالَتْهُ مِنْ أَجْلِ مَنْ
شَفَعَ فِيهِ رَاغِبًا وَمُؤْثِرًا

قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
طِبْتَ حِلَالًا فِي سَلَامٍ وَمَحْضَرًا

أَهْلًا بِنَا وَبِكَ فِي وَادِي سَلَامٍ
مِنْ حَلَّ وَادِيَهِ سَلَامٌ عَمْنَ وَرَى

قَدْ صَارَ مَا أَمْلَتَ أَمْرًا وَاقِعًا
حَقًّا وَمَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرِى

مِنْ فَاضِلٍ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ سَرِى
لَيْلًا وَفِي صَبَاحِهِ تَمَسِّرًا

أَتَ سَلَّا فَلَمْ يَكُنْ يَثُوِي بِهَا
حَتَّى سَلَّا عَنْ كُلِّ رَبِيعٍ عَمِراً

ذَاقَ نَمَيرَ نَهْرَهَا فَلَمْ يَعُدْ
يَشْفِي صَدَاهُ غَيْرَ مَا مِنْهُ جَرَى

وَلَا يَلَدُ مَطْعَمًا فِي غَيْرِهَا
أَوْ نَسْمَةً يَشْتَمِهَا أَوْ بِكَرَى

فَرَحْبًا بِكَ حَلَّتْ مَنْزَلًا
سَهْلًا فَقَاحَ مَنْدَلًا وَعَنْبَرًا

وَلَا تَرَزُلْ وَالْيَمْنُ فِي أَكَافِهِ
وَالْآمَانُ وَالْأَمَانُ مَوْصُولُ الْعَرَى

يَا شِيفَيْهِ يَحْيَى نَخْرَ فَيْفَاءَ الْذِي
بِهِ تَبَاهِي وَتَنْتَهِي مَفْخَرًا

لِيَهْنَكَ الْفَرْعُوْدُ الَّذِي تَعْزِي لَهُ
مِنْكَ الْأُصُولُ الرَّاسِخَاتُ فِي التَّرَى

وَالْمُنْتَمِي فِي خَيْرِ مَا أَرْوَمَةُ
فِي الْجَذْمِ مِنْ قَطَانَ آسَادِ الشَّرِّ

مِنْ بَطْنِ خَوْلَانَ طَلَعَتْ مَاجِدًا
مِنْ مَاجِدِينَ فُضَلَاءَ كُبَراً

مِنْ يَحْصُبُ وَيُشَجِّبُ وَيَعْرِبُ
وَذِي رَعْيٍ وَمَلُوكِ حَمِيرًا

وَكَانَ مِنْهُمْ لِلنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
مِنْ صَحْبِ الْأَنْصَارِ خَيْرُ النَّصَارَا

فَاهْنَا فَقَدْ جَمَعَتْ مَجَدًا طَارِفًا
إِلَى تَلِيدِ حُزْتَ مِنْهُ الْجَوْهَرَا

ثُمَّ هَنِيئًا يَا ابْنَ أَسْعَدَ بِمَا
حَلَّتَ فِي سَلَّ وَطَبْتَ عُمْرًا

قَدْ شَخَّتْ بِكَ سَلَّ إِذْ صِرْتَ مِنْ
أَعْلَامِهَا وَمَنْ لَهَا قَدْ عَمَرَا

وَزِدْتَ نَفْرًا وَمَقَامًا بِالَّذِي
أَحْرَزْتَ مِنْ مَشِيقَةٍ وَمَقْتَرٍ

وَصَارَ مِنْ حَقِّ الْعُلَا أَنْ تَحْتَفِي
بِمَا ازْدَهَى بِهِ الْحَمَى وَازْدَهَرَا

لَدْنُ حَلَّتَ فِي الدَّيَارِ طَالِبًا
فَكُنْتَ بَدْرًا طَالِعًا وَقَرَا

وَصِرْتَ فِي أَوَّلِ مِنْ نَعْدَهُ
إِذَا عَدَدْنَا مِنْ عَلَى الشَّيْخِ قَرَا

أَعْنِي السَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ مَنْ بِهِ
نَوَهَتْ فِي الْمَشْرِقِ حَتَّى اشْتَهَرَ

فَأَكْبَرُ الْفَضْلِ إِلَيْكَ يَنْتَهِي
وَكَانَ فَضْلُهُ عَلَيْكَ الْأَكْبَرَا

بِمَا عَنِ السَّبْعَةِ مِنْ قِرَاءَةٍ
رَوَاكَ ثُمَّ زَادَهَا فَعَشْرًا

صُغْرَى وَكُبْرَى وَالَّتِي لِنَافِعٍ
مِنْ طُرُقِ تَعْرِيفٍ وَتَفْصِيلٍ دَرِي

حَتَّى تَمَلَّاتَ بِمَا أَسْنَدَتْهُ
عَنْهُ وَكُنْتَ الْفَائزَ الْمُظْفَرَا

خُذْهَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَوْضَةً
غَنَاءً رَاقَ زَهْرَهَا وَنُورًا

أَوْ كَعِرْوَسٍ بَرَزَتْ مِنْ بَعْدَمَا
ظَلَّتْ يُوَارِيْهَا الْحِجَابُ أَشْهُرًا

جَلَوْتُهَا عَلَيْكَ فِي مَنْصَبَةٍ
لَفَتْ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تُبَصِّرَ

مَا ضَرَّهَا أَنْ لَمْ يَكُنْ مُنْشَهَا
يُدْعَى أَبَا النَّجْمِ أَوِ الْقَبْعَثَرِي

أَوْ لَمْ تَكُنْ فِي نَفْحٍ طَيْبٍ أَوْ مَقَاءٍ
مَاتِ الْحَرِيرِيِّ أَوْ لَدَى زَمَخْشَرَا

أَنْتَ الَّذِي جَسَّمْتَنِيهَا فَلَا تَكُنْ
عَيْنُ الرِّضَا تُغْمِضُ عَمَّا كَدَرَا

وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى فَتَلَكَ مُكْتَنِيَّ
وَلَا يَلَامُ مَنْ أَتَى مَا قَدَرَا

مَا قَلْتَهُ فِيكَ حَرَّ أَنْ يُزَبَّرَا
بِالذَّهَبِ الْأَبْرِيزِ شَمْ يُنَشِّرَا

لِلصَّدْقِ فِيهِ وَالْوَفَاءِ مَوْضِعٌ
مَا كَانَ يَخْفِي خَبْرًا وَمَخْبَرًا

كَمْ لِي مِنْ قَافِيَةَ حَبْرَتِهَا
فَكِدتُّ أَسْتَوْعِبُ فِيهَا الْأَجْرُّا

كَمْ وَأَفِرْ كَمْ كَامِلٌ كَمْ رَمَلٌ
كَمْ مِنْ خَفِيفٍ وَبِسِيطٍ سُطِرًا

كَمْ قُلْتُ فِي فَيَاءِ مِنْ قَصِيدَةٍ
عَصْمَاءِ فِيهِنَّ الْبَهَاءُ بَهَرَا

لَكَنِّي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَمْ أَصْغِ
فِي رَجَزٍ أَوْ هَزَجٍ كَمَا تَرَى

نَخْذُ إِلَيْكَ هَذِهِ يَتِيمَةً
رَقَّتْ وَرَاقَتْ فِي رَوَى حَرْفِ رَا

وَلَا تَسْمِي بَعْدَهَا فِي رَجَزٍ
فَلَسْتُ أَمْتَطِي حِمَارَ الشُّعْرَا

د. عبد الهادي جميتو
سلا: فاتح رمضان المظمم 1437هـ - الموافق 7 يونيو 2016م

حمار الشعراء

الأرجوزة الثانية

يَا شَيْخُ يَحْيَى لَوْ أَعْدَتَ النَّظَرَا
رَأَيْتَ فِي الرَّجَزِ مِثْلًا أَرَى

فَالشَّبَهُ نَحْوُ شَبَهِهِ مُنْجَذِبٌ
فَلَا تَقْلِيلٌ: قَدْ ظَلَمْتُ الْحَمْرَا

وَلَا تُقْلِّ فِي رَجَزٍ إِلَّا كَمَا
تُقُولُ فِي الْعِيرِ إِذَا الْعِيرُ جَرَى

كَلَاهُمَا مُسْتَهْجِنٌ لَسْتَ تَرَى
مِنْ جِنْسِهِ إِلَّا ثَقِيلًا مُرْدَرَى

ثُمَّ أَجِد سَمِاعًا فَقَابِلَهُ بِمَا
مِنْ الْفَضَائِلِ لَهُ قَدْ ذِكْرًا

وَهَا أَنَا أُشِنِّفُ السَّمْعَ نَخْذُ
عَنِّي مَا فِي كُلِّ سَمْعٍ وَقَرَا

مَمَّا يَهُ قَدْ نَطَقَتْ بِنَصِّهِ
آيُ الْكِتَابِ، وَهَا الْكُلُّ قَرَا

وَمَمَّا يَهُ السَّنَةُ قَدْ تَوَاتَرَتْ
وَالسِّيرَةُ الْغَرَاءُ، فَأَتَلُ السِّيرَا

وَمَا بِهِ الْعَرَبُ فِي أَمْثَالِهَا
قَدْ نَوَّهَتْ، وَقَالَ فِيهِ الشَّعْرَا

وَلَسْتُ فِي كُلِّ حَمَارٍ رَاغِبًا
سَمْوَهُ عِيرًا أَوْ حِمَارًا أَوْ فَرَا

لَكَنِّي يَا شَيْخُ يَحْيَى أَبْتَغِي
رِضَاكَ، لَيْسَ لِأَزِيدَ فِي الْمِرَا

وَانْمَا لَكَ أَكُونَ مُنْصَفًا
إِذَا بَسَطْتُ الْقَوْلَ فِيهِ مُعْذِرًا

وَجِئْتُ فِي أَمْرِ الْحَمِيرِ كُلُّهُمْ
بِمَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ مُخْبِرًا

أَمَا الَّذِي لَهُمْ فَنَ خَلَافَهُ
تَعْرِفُهُ إِنْ تَكُ بَعْدُ مُنْكَرًا

شَأْنُ الْحَمَارِ الْحَمْلُ وَالرُّكُوبُ وَالْ
حَرْثُ، وَجَرُ الْعَرَبَاتِ فِي الْقَرَى

كَالدَّوْرِ بِالرَّحْيِ وَدَرْسُ الْزَّرْوَ
عَ وَالْبَذُورِ وَأَمْوَرِ أَخْرَا

وَالْخَيْلُ وَالْبَغَالُ وَالْحَمَيرُ مَدْ
مَا رَبَّنَا لِمِثْلِ ذَاكَ سَخْرَا

لِتَرْكُوبُهَا، ثُمَّ قَالَ: زِينَةً
لِلنَّاظِرِينَ حِلْيَةً وَمُنْظَراً

لَكُنَّمَا الْحَمَيرُ أَدْنَى رُتْبَةً
لِذَاكَ جَاءَ ذِكْرُهَا مُؤْخَراً

وَلَا تَرَى فِي النَّاسِ مَنْ يَخْتَارُهَا
إِنْ كَانَ قَدْ خَيْرَهُ مِنْ خَيْرًا

فَالْمَشِيُّ رَاجِلًا بِلَا مَطِيَّةَ
وَلَا رُكُوبٌ فِي السِّفَارِ الْحَمْرَا

إِنَّ الْحَمَارَ شَرُّ ظَهَرٍ يُمْتَطِي
وَشَرُّ مَرْكُوبٍ لِمَنْ يَغْيِي السَّرِى

يَمْشِي مُرَاوِحًا مَكَانَهُ فَإِنْ
أَبْصَرَتْهُ تَخَالَهُ يَمْشِي وَرَا

وَلَوْ مَعَ الْجِيَادِ سَارَ سَاعَةً
لَقَالَ: هَاتُوا لِي سِمَاطًا أَخْضَرًا

فَنَافَسَ الْجِيَادَ فِي مُضْمَارِهَا
لِكِنَهُ سُرْعَانَ مَا تَدَهُورَا

وَإِنْ تُرِدْ مِنْهُ الْمَزِيدَ زَاجِرًا
صَارَ الَّذِي أَنْكَرَتْ مِنْهُ أَكْثَرًا

وَإِنْ تَزَدْ فِي حَفْزِهِ بُوْخِزِهِ
ظَنَّكَ تَسْتَوْقِفُهُ فَقَصْرًا

وَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى تَقْدِيمِ
خَالَكَ تَسْتَأْخِرُهُ فَاسْتَأْخِرَا

يَمْشِي الْهَوَيْنِي وَيَرَاهُ سَنَةٌ
فَهُوَ إِذَا سَارَ تَقْفَى الْأَثَرَ

وَلِلْعَثَارِ نَسْقٌ فِي سَيِّرِهِ
لَيْسَ يَبْالِي حُفْرًا أَوْ حَجَرًا

وَكَمْ عَثَارٌ مَا لَهُ مِنْ بَاعِثٍ
وَإِنَّمَا بَدَا لَهُ فَعُثْرًا

وَانْظُرْ إِلَى الْأَمْثَالِ فِي مَضَرِّهَا
بِهِ، وَكَمْ مِنْ مَثَلٍ بِهِ جَرَى

حَسْبُكَ فِي الْوَحِينِ كَمْ جَاءَ بِهِ
مِنْ آيَةٍ، وَكَمْ حَدِيثٍ سُطِّرَ

وَانظُرْ إِلَيْهِ فَرَّ مِنْ قَسْوَرَةً
وَقَدْ تَوَلَّ مُدَبِّرًا مُسْتَنْفِرًا

كَمَا بِهِ قَدْ ضُرِبَ الْمَثَلُ فِي
إِعْرَاضِهِ عَمَّا بِهِ قَدْ ذُكِرَ

لَوْ كَانَ فِيهِ لِلْقَبُولِ مَوْضِعٌ
مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ: إِنَّ أَنْكَرَا

أَلَيْسَ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ نَاهِقًا
وَيُسْتَعَاذُ عِنْدُهُ إِذَا انْبَرَى

يَا شَيْخَ يَحْيَى هَذِهِ قَضَيَّتِي
مَعَ الْحِمَارِ مُورِدًا وَمُصَدِّرًا

قرأتُ في آدابنا من ذمه
بدائعاً من حقها أن تشرأ

فكم هجاه من هجا من شاعرٍ
وكم حكيم عن حماه نفرا

فقيل في راكبه: "سوف ترى
إذا انجل الغبار" ما سوف ترى

إن الحوار والحمار اصطحبنا
في السير الفيت الحوار استحرنا

وصار من بعد الرغاء شاهقاً
وناهقاً، سرعان ما تأثرا

ولك في حمار تو ما مثل
إذ قال عن راكبه ما أثيرا

مَقَالَةٌ عَنْهُ حَكَاهَا مَنْ حَكَى
عَلَى لِسَانِ حَالِهِ مُعَبِّرًا

لَوْ أَنْصَفُونِي قَالَ مَا كُنْتُ أَنَا
أَحَقُّ أَنْ أَرْكَبَ إِذْ أَنَا بَرَا

لَا إِنْ جَهْلِي بَسِيطٌ وَالَّذِي
يَرْكَبُنِي بِالْجَهْلِ قَدْ تَدَثَّرَا

إِنَّ الْحَمَارَ مَعْرُوقٌ فِي جِنْسِهِ
كَانَ أَصِيلَ الْعِرْقِ أَوْ تَحْمَرا

لَا يَقْبِلُ الْمَجَازَ فِي تَشْبِيهِ
وَهُبَهُ قِيلَ: الْعِيرُ، أَوْ قِيلَ الْفَرَا

وَهُوَ حَمَارٌ كَيْفَمَا قَلْبَتِهِ
وَلَوْ نَتَوَجَّ بِتَاجٍ قِيسَرًا

أَرَى الْخَلِيلَ فِي الْعَرْوَضِ عَدَهُ
وَلَمْ يُرَاعِ ضَعْفَهُ وَالْخُورَا

مُسْتَفْعَلْنَ مُسْتَفْعَلْنَ مُسْتَفْعَلْنَ
رَكْضُ الْحِمَارِ وَزَنْهُ إِذَا جَرَى

فَمَنْ تَرَاهُ عَاجِزاً عَنْ نَظَمِهِ
وَلَوْ أَرَادَ الْأَلْفَ مِنْهَا اسْتِيَسْرَا

فَإِنْ يَكُنْ مُسْتَفْعَلْنَ مُسْتَفْعَلْنَ
شِعْرًا، فَكُلُّ النَّاسِ صَارُوا شِعْرًا

لَذَاكَ قَدْ رَكِبَهُ النُّظَامُ فِي
أَنْظَامِهِمْ وَلَمْ يُطِيلُوا الْفِكَارَا

فَكَثُرَتْ حَمِيرُهُمْ، وَزَاحَمَتْ
أَهْلَ الْقَرِيبِ وَالْقَصِيدِ بِالْهُرَا

لَا تَأْمِنُ الْحَمَيرَ فِي رُكُوبِهَا
وَلَا تَقُلْ فِيهَا: رُكُوبُ الْفَقَرَا

فَكَمْ فَقِيرٌ قَصَمَتْ فَقَارَهُ
فَمَا تَوَلَّ يَوْمٌ حَتَّى أَقِبَرَا

وَسَقْطَةٌ عَنِ الْجَوَادِ سَلَمتْ
وَسَقْطَةٌ الْحِمَارِ دَقَّتِ الْقَرَا

فَلَا تَقُلْ لِي فِي حَمَارٍ فَارِهٌ
فَكُلُّهَا مِهْمَا تَفَرَّهَ فَرَا

لَوْلَيْسَ الْحِمَارُ ثَوَبَ حَبْرَهُ
كَانَ حِمَارًا قَدْ تَرَدَى الْحِبْرَا

أَوْ قَدْ جَرَى مَعَ الْجِيَادِ غَلُوَهُ
قِيلَ: حِمَارٌ فِي السِّبَاقِ غَبْرَا

جَاءَ أَخْيَرًا وَهُوَ يُشْكُو حَظَّهُ
يَرَى لِسُوءِ حَظِّهِ تَأْخِرًا

وَانْ مِنْ يَعْلَفُهُ مَقْصُرٌ
فِي حَقِّهِ فَهُوَ لِذَالِكَ قَصْرًا

فَالشُّوْمُ فِي ثَلَاثَةِ إِنْ كَانَ فَهُ
وَوَاحِدٌ فِيمَا نَعْدَهُ يَرِي

لَا تَرْكِبِ الْحَمَارَ يَوْمًا إِنَّهُ
بِئْسَ الْمَطِيهُ لِمَنْ لَهُ عَرَا

وَلَا تُثْقِلِ إِذَا بَدَا مُسَالَّاً
فَالنَّارُ قَبْلَ الْوَقْدِ كَانَتْ شَجَرًا

وَلَا تُقْلِ في رَجَزٍ: شِعْرٌ فَلَوْ
كَانَ لَمَّا قِيلَ: حَمَارُ الشُّعْرَا

لَا تَأْمِنُ الْعِيرَ فَرَبِّهَا هَوَى
بِرَّا كِبِّ فَدَقَّ مِنْهُ الْمِنْخَرَا

لَمْ يَرِعْ فِيهِ ذَمَّةً أَوْ صُحبَةً
وَلَوْ غَذَاهُ أَشْهَراً وَأَشْهَراً

يُعْلَفُهُ مِنْ قُوَّتِهِ وَيَقْتَنِي
لَهُ إِلَّا كَافَّ وَالْمَخَالِي الْأَوْفَرَا

وَكَانَ يَسْتَوْصِي بِهِ فِي ظَهَرِهِ
فَلَا يَحْمُلُ سِوَى مَا قَدَرَأَا

وَلَيْسَ يُرْدِفُ عَلَيْهِ رَآبِكَا
مِنْ خَلْفِهِ مِنْ رَجُلٍ أَوْ مِنْ مَرَا

لَكِنَّمَا الْعِيرُ لِسُوءِ طَبَعِهِ
لَا يَعْقِلُ الْجَمِيلَ مَهْمَا كَثُرَا

وَلَا يُبَالِي صَرْعَةً أَوْ رَفْسَةً
تَغْدُو بِهَا عَلَى الْثَّرَى مُعَثْرًا

وَرُبَّمَا زَادَ فِرَارًا بَعْدَمَا
فَعَلَّهَا وَطَاشَ عَنْكَ مَنْظَرًا

ثُمَّ رَمَى إِكَافِهِ وَخَرْجَهِ
وَمَا حَمَلْتَ فِيهِ فِي عُرْضِ الْثَّرَى

إِنَّ الْحَمَارَ لَا مَيْرُ نَفْسِهِ
وَلَوْ تَأَدِبَتْ لَهُ مَا شَعَرَّا

وَلَوْ تَخْيِرْتَ لَهُ بِرْدَعَةً
مِنْ نَسْجِ صَنَاعَةٍ وَوَشِيْ عَبْقَرَا

وَلَمْ يَزُلْ فِي جِنْسِهِ مُمْتَنَا
كَمَا أَرَاهُ فِي حِمَارِ الشَّعَرَا

وَلِيَسْ هَجُوِيُّ لِلْحَمَارِ غَايَيِ
كَانَ حِمَارَ الشِّعْرِ أَوْ كَانَ فَرَا

وَأَنَا جَعَلْتُهُ وَسِيلَةً
أُمْلَحُ الْجِدَّ بِهَا إِذَا عَرَا

فِي زَمَانِ الْجَدِّ تَحْلُو سَاعَةً
لِلْهَزَلِ يَمْرُحُ بِهَا مَنْ سَرَا

فَنَمَطُ الْقَوْلِ عَلَى وَتِيرَةٍ
يَمْلُّ مِنْهُ مَنْ بَدَا أَوْ حَضَرَا

نَخْذُ إِلَيْكَ هَذِهِ تَكْلِةً
فِي رَجْزٍ طَلَقْتُ فِيهِ الْأَبْحَرَا

جَبْرًا نَحَاطِرَ أَدِيبٌ بَارِعٌ
أَحَبَهُ فَقْلَتْ فِيهِ مَا تَرَى

وَمِنْ أَنَا أَسْتغْفِرُ اللَّهَ لِمَا
مِنِّي مِنْ هَزْلٍ بِرِيٍّ صَدَرَ

وَقَائِلٌ خِتَامٌ مَا دَبَّجْتَهُ
صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى

مُحَمَّدٌ وَآلُهُ وَصَحْبِهِ
وَمُثَمِّنُكُمْ مَعْشَرًا فَمَعْشَرًا

د. عبد الهادي حميتو

سماعهما بصوت محمد سايد 

إرسالهما في واتساب 

نسخة الويب 